قال ابن دقيق العيد رحمه الله في الزهد والعفة والقناعة وعزة النفس:

يقولون لي هلا نهضــــت إلى العلا فما لــذَّ عيش الصــــابر المتقنع
وهلا شـــددت العيس حتى تُحِلَّهَا بمصــــر إلى ظلِ الجناب المرَفَّعِ
ففيهـا من الأعيـان مَن فيضُ كفـه إذا شـــاء روّى سَـــيْلُهُ كـل بلقعِ
وفيهـا قضـــاةٌ ليس يَخْفَى عليهمُ تعيُّنُ كون العلـمِ غيرَ مُضـــيعِ
وفيها شـيوخُ الدين والفضـل والألى يشـــيرُ إليهمْ بـالعلا كـل إصْـــبَعِ
وفـيـهـا وفـيـهـا والـمـهـانـةُ ذلـةٌ فقم واسْـــع واقصـــدْ باب رزقك
فقلت نعم أسـعى إذا شـئتُ أن أُرى ذليلا مُهانًا مســـتخَفًّا بموضـــعِي
وأســـعى إذا ما لـذ لي طول موقفي على بـاب محجوب اللقـاء ممنَّعِ
وأســـعى إذا كـان النفـاقُ طريقتي أروح وأغـدو في ثيـاب التَصـــنُّعِ
وأســـعى إذَا لَـمْ يبـق فيَّ بـقـيـة أراعي بِهَـا حق التُّقَى والتَّوَرعِ
فكم بَيْنَ أربـاب الصـــدور مجالسٍ تَشُـبّ بِهَا نار الغضـا بَيْنَ أضـلعِي
وكـم بَيْنَ أربـاب العـلوم وأهلهـا إذَا بحثوا فِي المشـــكلات بمجمعِ
منـاظرةٍ تحـمي النفوسَ فتنتهي وَقَدْ شـرعوا فِيهَا إِلَى شـر مشـرعِ
إِلَى الســـفه المزْري بمنصـــب أهله أَوِ الصـــمت عن حقٍّ هناكَ مُضـيَّعِ
فإما تَوخّى مســـلك الدين والنهى وإمـا تَـلقَّى غصـــةَ الـمتجـرعِ